دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 33، العدد 3، 2006

ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب

*إبراهيم محمود خليل**

ملخـص

يقوم هذا البحث على تأمل دقيق لاستخدام الألوان في التعبير المجازي والاستعاري فضلاً عن التعبير الحقيقي، معتمداً على استقراء الشعر الجاهلي، والإسلامي، واستقصاء الكنايات اللونية ومقارنتها بما يقابلها، أو يقرب منها، أو يختلف عنها في لغات أخرى، استقصاء يضيف إلى معرفتنا بالألوان، والألفاظ الدالة عليها، كسباً لغوياً لا يجده القارئ في أي من الدراسات السابقة التي اقتصرت على الجانب المعجمي وحده.

الكلمات الدالة: مقام، دلالة، سياق، كناية، لون، استعارة، ألفاظ، انزياح معجمي.

المقدمـة

اهتم الإنسان منذ القديم باللون، واتسمت علاقته بما حوله من ألوان بالطابع الرمزي. فكل لون رآه وأصبح جزءاً من خبرته الحسية له مدلوله الذي يحيل إلى شيء. والمعروف أن البدائيين، سواء الذي عاشوا منهم في الماضي السحيق، أو الذين لا يزالون يعيشون فيما بيننا في مناطق وبقاع لم تصل إليها الحضارة، يعتمدون الوشم بالألوان طريقة لدفع الأذى واتقاء الأرواح الشريرة، وكذلك تجنب الحسد أو التعبير عن شعور بالقداسة تجاه شيء ما أو قوة يخشى جانبها على الإنسان أو الحيوان.

واتخذوا أيضاً من الألوان وسائل للتزيين في مجالات عدة، كالعبادة، وممارسة الشعائر الدينية، والطقوس، ومنها التعبير عن التفاعل بالعالم الخارجي تفاعلاً يبهج النفس ويعبر عما يجيش فيها من مشاعر الفرح أو اللذة أو مشاعر البؤس والحزن. وقد اختلف في أمر الألوان بين الشعراء والرسامين، فالألوان تتمتع لدى الرسام بوجود بصري، مرئي، ماثل للعيان، خاضع للحس واللمس، أما عند الشاعر فهي علامات لفظية لا تفتأ تذكر قارئ القصيدة، أو من يستمع إليها بوجود بصري خارجي، فعندما يقول الشاعر:

فكانتْ رجالُ المشْركين وخيلهم
يرون بهن الموتَ أسود أحمرا(1)

فإنه يصف الموت بالحمرة تارة، وبالسواد تارة أخرى. وبما أن الموت لا لون له في الحقيقة، ولا تمكن رؤيته أو الإحساس به عن طريق الحواس من بصر أو لمس فإن الشاعر بهذا الوصف يدفع بالقارئ إلى تخيل الصورة التي تمثل فيها رعب المشركين من المعركة وشدة ما أصابهم من الفزع والرعب مما جعلهم يرون ما لا يرى، تارة أحمر، كناية عن الشدة، والدماء الغزيرة، وطوراً أسود، كناية عن الضيق والاختناق، والموت من شدة الخوف. ولهذا فإن الشعراء من أزمنة بعيدة، وعصور غابرة، فطنوا إلى أهمية الألوان، والدور الذي يمكن أن تنهض به في تقريب الصور والرؤى من أذهان القراء المتذوقين للشعر وأخيلتهم وإدراكهم الحسي(2).

ولم يقتصر استخدام الألوان وأسمائها وصفاتها في التعبير على الشعراء، أو الكتاب، وإنما انتقل اللون إلى لغة الحديث اليومي. وغدت التعبيرات اللونية المتداولة في اللغات تتزايد يوماً بعد يوم، ودائرتها تتسع جيلاً بعد جيل. وأصبحت هذه التعبيرات من الشيوع والتداول بحيث لا تنافسها أي وسيلة من وسائل الاتصال اللغوي. فأن يقال في الإنجليزية كذبة بيضاء white lie فمعناه أنها لا تحدث ضرراً. وأما أن يقال black market فذلك لا يعني إلا سوقاً لعقد الصفقات غير المشروعة وقد انتقل هذا التعبير إلى العربية، فيقال سوق سوداء. ويقال فلان أسود القلب، أو قلبه أسود، دلالة على الحقد. والخبر الأسود باللهجة المصرية تعبير عن المفجع أو المحزن خلافاً للخبر الأبيض. وإذا قيل في الإنجليزية to see red فمعناه احمرت عيناه من الغضب، ويوم ازرق، أي خالٍ

---

* قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الاردنية. تاريخ استلام البحث 2004/10/5، وتاريخ قبوله 2005/3/7.

© 2006 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

من السعادة blue day وللشيء النادر يقال قمر أزرق blue moon وإذا تمتع الرجل المسن بالحيوية قيل له green old age مثلما يقال بالعربية: ما تزال نفسه خضراء أي انه يستطيع أن يحب ويتزوج مرة أخرى. وعكسه يقولون: green hand أي انه شخص مبتدئ، وغير ناضج، تعوزه المعرفة والخبرة(3).

وبالفرنسية يقال: le problème noir المشكلة السوداء وهي كناية عن قضية السود في أمريكا. ويطلق على المجرمين أو الطغاة المستبدين تعبير des mains noires الأيدي السود. ويقال: أفكار سود les idées noires للتعبير عن الوساوس التي تساور الإنسان المتوتر القلق، والحزين يقول بالفرنسية "أرى كل شيء أسود": Je vois tout noir ويقال ليلة سوداء nuit noire أي ليلة بلا نجوم ولا قمر، وثمة تعبيرات سائدة في معظم اللغات تقريباً نحو: marché noir للدلالة على الصفقات غير المشروعة وتسرب إلى العربية تعبير: فتح صفحة بيضاء، ولا يقصد بذلك أن تكون الصفحة بيضاء اللون، وإنما علاقة جديدة خالية من تأثيرات الماضي. وأصل هذا التعبير بالفرنسية page blanche. ويقال فلان لديه "كارت أبيض" carte blanche أي يستطيع أن يفعل أي شيء دون الحاجة إلى موافقة أو إذن. وفلان له يد بيضاء les mains blanches كناية عن الأمانة، ونظافة اليد، أي عدم التورط في فساد مالي أو إداري، وزواج أبيض mariage blanc وامتحان أبيض examen blanc وكلاهما كناية عن الخلو من التبعات التي ترتبط بمثل هذا الزواج، أو الامتحان، عادة.

ومن شاء أن يستقصي مثل هذه الكنايات القائمة على العدول بمدلول الكلمة أو التراكيب التي يمثل اللون، أو صفته، جزءاً منها في العربية المعاصرة فسيجد الكثير جداً. وهذا ما حدا ببعض الدارسين إلى العناية بالألوان وأسمائها وصفاتها. من هؤلاء شفيق جبري الذي تناول لغة الألوان في الخطاب الشعري(4)، وعبد العزيز بن عبدالله الذي صنف معجماً لأسماء الألوان(5)، وأحمد سعيد الدمرداش الذي كتب مقالة في التوافق الدلالي بين اللغة الشعرية والألوان(6)، وعبدالكريم خليفة الذي قدم بحثاً حول الألوان اعتمد فيه اعتماداً كلياً على معاجم اللغة فضلاً عن مصنفات عدة من أبرزها "كتاب الخيل" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (209هـ) وعني فيه بألوان الخيل ودرجاتها وشياتها. ومن الملحق الذي أضافه للبحث يتضح أن جهوده انصبت على الألوان في حقل خاص لا يتجاوز الحقل المعجمي(7).

وتناول جاسر أبو صفية في مقالات عدة ألوان الخيل والظباء والإبل عند العرب وقسمها إلى مجموعات هي: الدهم والحر والكمت والخضر والوراد والشقر والصفر والغبر والصهب والشهب(8). وعرض لألوان الإبل من أدم ودكن وصهب وعيسٍ وكُلْف وخضر وحمر مدماة، وعنْج، وهجان، وورق، محدداً معاني الألفاظ الدالة على هاتيك الألوان، سواء أكانت مفردة أم مركبة، أي: يتكون كل لون منها من لونين فأكثر، كالأكلاف، والأصهب، والأورق(9).

فضلاً عن الألوان التي ذكرناها ينوه إلى الأعفر والرئم والأعصم والعوهج والقهد والموشحة والمولعة وغيرها مما يربو على ثلاثة عشر لوناً تتصف بها الظباء والحمر والبقر الوحشي، سواء منها ما يعيش في سهل أو جبل(10).

وقد زاد اهتمامه بالألوان على غيره، فخصص مقالة وافية لتسمية العرب لها، منوها إلى دقتهم العلمية في إطلاق هذه الأسماء على الموجودات من حولهم، سواء أكانت في الأرض أم في السماء، وفي الجماد أم في النبات والحيوان. فقد أطلقوا على الغبش الذي يحيط بالشمس الكاف الشمسي، وسموا أحد الكواكب: الزهرة، لما رأوه فيه من الألق واللمعان. وأطلقوا على الليل: الجون لشدة سواده وعلى ما يسقط من قطع الكواكب المحترقة اسم الشهب. ولم يفته أن يورد أسماء كثيرة مما يتصف به الإنسان كاللعس للثة والشفاه، والحور للعينين والبياض للأسنان، والبشرة، واستقصى ذلك في الحيوان من إبل وشاء وخيل وحمر وحشية وبقر وغير ذلك(11).

وممن عني باللون وصلته باللغة أحمد مختار عمر الذي صنف كتاباً بهذا الشأن(12)، تحدث فيه عن عناية العلماء في القديم والحديث بالألوان؛ وتطرق إلى عناية اللغويين ولا سيما المهتمين بالمعجمات وفقه اللغة العربية وتحديدهم الدقيق معاني ألفاظ اللون، وغموض بعض الألفاظ، منوهاً بالدور الذي نهض به كتاب أبي عبدالله النمري الموسوم بالملمع(13)، مشيراً إلى استخدام أسماء الألوان باللغات المختلفة للتعبير عن دلالات غير حرفية مثلما نجد في الإنجليزية black night ليلة سوداء للدلالة على أنها بلا نجوم أو black hearted أسود القلب للدلالة على الضغينة والحقد(14). وأكثر من الاستشهاد بالعبارات العامية المصرية كقولهم: "يا خبر ابيض" و"يا خبر اسود"، و"ادخر قرشك الأبيض ليومك الأسود".

والحق أن الذين ذكرت أسماءهم وعناوين مقالاتهم وبحوثهم ومصنفاتهم على جليل قدرها، وعظم فائدتها، انتهجت في تناول الألوان طريقاً غير الذي انتهجت، وسلكت سبيلاً غير التي سلكت. فقد عزمت على تتبع ألفاظ اللون ودلالاتها في الشعر العربي القديم، الجاهلي منه والإسلامي، متعمداً البحث في الدلالات المجازية والكنائية للألوان. فقد رأيت أن هذا الجانب لم يعط حقه من البحث لا عند القدماء

ولا لدى المحدثين. لقد أشار الثعالبي في فقه اللغة إشارة مقتضبة موجزة لاستعارة اللون من حيث هو اسم يدلّ على معنى معجمي بحكم الاصطلاح إلى الدلالة على معنى آخر يتصور من التركيب أو السياق؛ كقولهم موت أحمر، وموت أسود، وعيش أخضر، وعدو أزرق(15).

وهذه الكنايات أو الاستعارات التي ذكرها الثعالبي لا تعادل نقطة في بحر. ولا تسعفنا معاجم اللغة في استقصاء هذه التعبيرات لأن أكثرها لا يهتم إلا بإبراز المعنى الأصلي. ورأيت في الشعر الجاهلي خاصة ما يعوض عن هذا. فقد وجدت في المختارات والدواوين ما يشفي غليل الباحث، ويؤدي إلى نتائج دقيقة وكسب لغوي دلالي لا يجده القارئ في أي من الدراسات التي ذكرت.

الألوان الأساسية:

فقد عرف العرب من الألوان الأساسية التي أطلقوا عليها أسماء خاصة بها من غير حاجة إلى الدمج والمزج والتركيب ستة ألوان هي: الأبيض والأسود والأحمر والأزرق والأخضر والأصفر. عدا مجموعة أخرى من الأسماء، إما أن تكون صفات لهذه الألوان الأساسية، أو مرادفات لها: كالجون الذي يرادف الأسود في سياق والأبيض في آخر، والورد الذي يرادف الأحمر، أو انها تركيب من لونين فأكثر كالأكدر الذي هو مزيج من البياض والسواد، وكذلك الأغبر، والكميت الذي هو مزيج من الأحمر والأسود، والأصحم الذي هو مزيج من السواد والصفرة.

ومن بين الألوان الستة التي ذكرتها يظل (الأزرق) أكثرها غموضاً. وسيتبين لنا في هذا البحث أن الزرقة أطلقت على أشياء متناقضة كالنصال وأسنة الرماح التي يقال لها زرق تارة، وبيض تارة أخرى. وربما كان غموض دلالة الزرقة عندهم سبباً لإنكارها من بعض اللغويين ومنهم النمري صاحب "الملمع" الذي استبعد اللون الأزرق واقتصر على ذكر خمسة ألوان هي الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر(16).

ولم يعرف العرب اللون البني وهو أحد الألوان الأساسية في اللغة الإنجليزية brown ولكنهم عرفوا أسماء أخرى منها: الأسمر والأدكن وهي من حيث الوصف تشبه ما يطلق عليه الإنجليزية brown وكلمة (بنّي) المولدة هي نسبة إلى (البن) ولم تعرف العربية أسماء أخرى للألوان مثل: البرتقالي، والقاعدة التي عرفوها في اشتقاق الألوان هي إضافة همزة في أول الصفة للدلالة على اللون، فإذا أرادوا المقاربة بين لون الشيء ولون الملح قالوا: أملح وليس "ملحي" خلافاً للقاعدة المتبعة في لغة هذا لعصر وهي الاتكاء على النسبة فيقال: فيروزي، وفستقي، ومشمشي وغيره.

وأحد الأسئلة التي نريد الإجابة عنها في هذا البحث هو: كيف تداول شعراء الجاهلية والشعراء المخضرمون الألوان وخرجوا بمسمياتها من الدلالة على معنى إلى الدلالة على معنى آخر؟ وبما أن اللون الأبيض هو أكثر الألوان شيوعاً في لغتهم وأحبها إليهم فسوف نبدأ بتتبع دلالات البياض.

الأبيض:

للدلالة على الأبيض في العربية ألفاظ كثيرة، كالوضح، والزهرة، والحر، والجون، وهو من الاضداد(17)، واللهق، والبلق، والليباح، والأملح، ولكن أكثر هذه الأسماء شيوعاً هو الأبيض. ويدل الأبيض في عرفهم على المكانة الاجتماعية وعلى كرم الشخص. قال سبيع بن الخطيم:

ومجالس بيض الوجوه، أعزة
حمر اللثات، كلامهم معروفُ(18)

فالشاعر يفخر بقومه أنهم بيض الوجوه لأن بياض الوجه شيء يتفاءل به عند العرب ويستبشرون منه خيراً. وطرفة بن العبد يفخر لأن ندماءه من كرام الناس، وآية ذلك أنهم بيض كالنجوم الزهر:

نداماي بيض كالنّجومِ وقينَـةٌ
تروح علينا بين برد ومجسد(19)

وبياض الوجوه في الخدم والإماء دليل على كرم الممدوح وأنه من عِلْية القوم وسادتهم حتى أن عبيده من الأحرار البيض لا من السود. قال النابغة الذبياني يمدح:

تحيهمو بيض الولائد بينهم
وأكْسيةُ الأضريجِ فوقَ المشاجبِ(20)

وإذا هجي القوم بسواد الإماء فذلك يعني لؤم الأصل وأنهم من أوشاب الناس. قال عبدالله بن رواحة:

تركنا مجدعـاً وبني أبيـه
إمـاء يحتلبن الضـأن سـوداً(21)

فقد هجاهم بأنهم أصبحوا بعد هزيمتهم المنكرة إماء سود الألوان. وسواد البشرة مما كان العرب يذمونه ولا يحمدونه في الناس. قال حسان بن ثابت:

بيض الوجوه، كريمةٌ أحسابهم
شُـم الأنوف من الطرازِ الأولِ(22)

والأبيض من الرجال أو النساء الكريم. والبياض نقاء العرض، قال حسان:

من صلْبِ خنْدفَ ماجد أعراقه
نجلَتْ بـه بيضاء ذاتُ تمـامِ(23)

والرجل أو المرأة إذا مدح بالبياض فقد يعنون بذلك خلوه من العيب والنقص. قال حسان أيضاً:

فجعنــي – لا وفق الله أمره -
بأبيض وهـــابٍ قليل التّجهــم(24)

وقال الشارح في بيت زهير:

وأبيض فياضٍ يداه غمامــةٌ
على معتفيــه ما تغب أناملُــــه(25)

أراد رجلاً نقياً من العيوب.

والأبيض في العربية السيف. قيل له ذلك لما تركه فيه الصقل من اللمعان. قال الشنفرى:

إذا فزعوا طارتْ بأبيض صارمٍ
ورامتْ بما في جفْرها ثم سلّت(26)

والبيض بالجمع السيوف. وقد أكثر الشعراء من وصف سيوفهم بالبياض حتى أنهم كنوا بهذا اللفظ عنها من غير أن يذكروها ذكراً صريحاً. فهذا قيس بن الخطيم يصف سيوف قومه في المعركة وقد جردت للقتال لامعة بيضاء لترد بعده إلى أغمادها حمراً قد رويت حدوداً ومقابض:

يجردن بيضاً كلّ يوم كريهــة
ويغْمدن حمراً خاضبات المضاربِ(27)

وهذا لا ينفي أنهم استخدموا اللفظة نفسها للدلالة على النصال. قال ساعدة بين جؤية:

حتى أتيح له رامٍ بمجدلة
جشْء، وبيض نواصيهن كالسجــم(28)

فالصياد يستخدم السهام لا السيوف في صيده. وهي بيض لشدة صفائها. والدرع يقال لها بيضاء أيضاً لما فيها من اللمعان والبريق. ويقال كتيبة بيضاء لكثرة الحديد والسلاح. قال أحد شعراء الحماسة:

أعددتُ بيضاء للحروبِ ومصقولَ
الغرارين يفْصــم، الحلقـــا(29)

ويقولون: بيض الليالي كناية عن أنها ليال لا شؤم فيها ولا حزن. أما إذا قيل سود الليالي فذلك دليل على أنها مملوءة بما ينغص النفس ويغم القلب. قال عنترة:

وقضتْ علينا بالمنون، فعوضتْ
بالكره من بيض الليالي سودهــا(30)

وهذا يشير إلى اختلاف في معنى هذه الكناية: ليلة بيضاء أو سوداء. فقد استعمل الإنجليز black night وكذلك الفرنسيون للدلالة على ليلة لا نجوم فيها ولا قمر وهنا استخدمها عنترة للدلالة على ما فيها من الهموم والضجر والأحزان. والعرب لا يقولون: أيام بيض مثلما قالوا لليالي. ويعبرون بالبياض عن الحيرة إذا شملت حدقتي العينين، مثلما يعبرون بذلك عن الانبهار فيكون المنبهر بمنزلة الأعمى، قال الحارث بن حلّزة اليشكري:

قبل مــا اليوم بيضتْ بعيــون
النّاس فيهــا تعيطٌ وإبـــاء(31)

وعلق على هذا الشارح بقوله: وهذا تمثيل، أراد: لنا عزة ونسب لا يقدر أحد أن يأتي بمثله، فقد تحير الناس لذلك فصاروا بمنزلة العمي. وهذا قريب من قولهم عن الشيء المفزع: تبيض لهوله الغدائر، وتشيب منه الوالدان، قال لبيد بن ربيعة:

وما بك من شيء فقد رعتَ روعةً
أبا مالك، تبيض منها الغدائر(32)

قال الشارح: المعنى أنك أدخلت على أبي مالك فزعاً يشيب لهوله الشعر. وعلى هذا القياس فُهم قول الأعشى:

أفي كلّ عامٍ تقتلون، ونتّدي
فتلك التي تبيض منها المقادم(33)

أي تشيب من هولها جوانب الشعر، وذلك كناية عن شدة إيقاعهم بهم وكثرة القتلى. وللدلالة على الإحالة يقولون لا أفعل كذا حتى يبيض القطران، أي لا يفعله أبداً، قالت الخنساء:

ولا أسالم قوماً كنْتَ حربهم
حتى تعود بياضاً جونَةُ القار(34)

إي لن تسالم أعداءه ما دام القطران أسود.

الأسود:

ارتبط السواد عند العرب باستثناءات قليلة ونادرة بالقبح واللؤم ولا سيما في لون بشرة الإنسان، قال عنترة يصف فرسانه:

كم من فتى فيهم أخي ثقة
حــرٍ، أغــرّ، كغرة الرئـــم
ليسوا كأقوامٍ علمتَهم
سود الوجـــوه كمعدن البــرم

فمع أنه أسود اللون يفخر بفرسانه أنهم بيض، وأن بياضهم كبياض الظباء الغر، ولا شك في أنه لا يعني هنا بياض اللون حسب وإنما يضمن البيت المعنى المجازي أي الكرم والعتق والخلو من النقائص فيما يوحي السواد بخلاف ذلك(35). ومثل عنترة سحيم عبد بني الحسحاس الذي كان أسود البشرة:

فلو كنت ورداً لونه لعشقنني
ولكن ربي شانني بسواديــا(36)

فسواد البشرة قبح يدفع بصاحبه للشعور بالنقص.

أما سواد الوجه فلا يعني دائماً اللون وإنما يعني الذكر القبيح وسوء السمعة بين الناس، أو الأثر الذي تخلفه الهزيمة وما يلحق بها كالفرار من الحرب، أو الوقوع في الأسر، أو التخلي عن النجدة، قال حسان بن ثابت يهجو قيس بن امرئ القيس العجلي:

وإن َتلْقَ قيس ابن امرئ القيس بعده
تزد في سواد وجهه لون حالك(37)

وقد تستعمل عبارة "سواد الوجه" للدلالة على التغير من حال البسط والسرور إلى الغم والنكد والحزن. قال حسان في رثاء النبي (صلى الله عليه وسلم):

ضاقتْ بالانصارِ البلاد فأصبحتْ
سوداً وجوههم كلون الأثْمد(38)

أي ان الفجيعة الكبيرة، والمصيبة العظمى، جعلت وجوههم البيضاء المشرقة مكفهرة، كأنما ذر عليها الكحل فاسودت نتيجة الحزن. وفي العربية يقال ليلة سوداء، أي لا نجوم فيها ولا قمر تماماً مثلما يقال في الإنجليزية black night. قال عبيد بن الأبرص:

يا من لبرق أبيتُ الليلَ أرقبه
ُفي مكْفَهر وفي سوداء مركومة(39)

قال الشارح: أي ليلة بلا نجوم ولا قمر، وفضلاً عن ذلك كثيرة السحاب ويكنون بالسوداء عن القدر الكبيرة التي يطهون فيها الذبائح؛ دليلاً على كرم الممدوحين، وأنهم كثيرو الأضياف، قال النابغة:

له بفناء البيت سوداء فخْمةٌ
تلقّم أوصالُ الجزورِ العراعرِ(40)

وقال الأعشى مكنياً عن القدر العظيمة التي تغدو سوداء اللون داكنة بسبب كثرة استعمالها في الطبخ، ولطول ما يلفها الدخان:

وعاد فتى صدق عليهم بجفنة
وسوداء لأياً بالمزادة تمرقُ(41)

ذاك أنهم يفخرون بسوادها لكثرة الاستعمال، وأن وفود الأضياف لا ينقطعون، وكذلك تقديم الطعام وطهوه لا يتوقف. ومثلما يقال في الإنجليزية أسود القلب black hearted يقال بالعربية أسود الكبد للدلالة على المعنى الذي يفهم من أسود القلب. قال الأعشى:

فما اجشَمتَ من إتيانِ قومٍ
هم الأعداء والأكباد سود (42)

أي انهم أحرقت أكبادهم العدواة. ويقال سواد القلب وسواد الفؤاد وسويداء القلب. وكلها بمعنى واحد أي: صميمه. وذلك أن العرب كانوا يعتقدون بأن في جوف القلب علقة وأن شدة حمرتها تؤدي بها إلى سواد، قال قيس بن الخطيم:

يكون له عندي إذا ما ضمنْته
مقر بسوداء الفؤاد كنين(43)

أي ان الشاعر يريد بسواد القلب مركزه. فإن الكناية جاءت من نسبة هذا السواد الذي هو صفة العلقة إلى القلب. قال النابغة الجعدي في هذا المعنى:

وحلّتْ سواد القلبِ لا أنا باغياً
سواها ولا عن حبها متراخيا(44)

ومن كناياتهم قولهم سود المعاصم، وهي كناية عن الفقراء الذين يعملون بأيديهم في الأعمال التي يضطرون إليها بسبب الجوع، أو الحاجة، أو لأنهم يقربون من النار للاصطلاء في ليالي القر. قال عروة بن الورد:

أبى الخفْض من يخشاك من ذي قرابة
ومن كلّ سوداء المعاصم تعتري(45)

والسواد كناية عن الشخص تراه فيعجبك مظهره ولكنه عند الاختبار والممارسة يتضح أنه لا قلب له، وأنه أجوف، فيقولون فلان عظيم سواد الشخص، قال جران العود النمري:

حليف ِلوطْبي علبة بقرية
عظيم سواد الشخْصِ، والعود أجوفُ (46)

واستخدم السواد في العربية للدلالة على الكثرة. قال حسان بن ثابت:

يغْشَون حتى ما تهر كلابهم
لا يسألون عنِ السواد المقبل(47)

فهم من الكرم والسعة بحيث لا يسألون عن عدد الضيوف ولا يبالون بمن ينزل بهم ولا يروعهم الجمع الكثير. وللدلالة على كثرة الجيش يوصف بالسواد، وقد يشبه بسواد الليل بمعنى أنه لكثرته يحجب الرؤية ولا تدرك العين آخره، مثلما لا تدرك ما وراء سواد الليل لحلكته وشدته. قال الأعشى:

كن كالسموأل إذْ سار الهمام له
في جحفَلٍ كسواد الليل، جرارٍ(48)

ويقال: فلان كثير سواد اللحم أي انه جسيم. قال أمرؤ القيس:

كثير سوادِ اللحمِ ما دام بادناً
وفي الضمرِ ممشوقُ القوائمِ شَوذَب

أراد أنه فرس جسيم لكن جسامته هذه وبدانته لا تقلل من كونه رشيقاً خفيف الحركة سريعاً يبذّ غيره من الجياد. ويقال للنخيل والشجر الكثير الملتف "سواد" ويزعمون أن ذلك إنما قيل للنخيل لشدة خضرته التي تجنح به إلى السواد. ولعلهم قالوا: سواد العراق، وأرض سواد، من هذا الباب. قال خفاف بن ندبة:

ذعرتُ عصافيره بالسواد
أوزع ذا ميعـ ـة مستَطـ ـارا(49)

والأسود اسم لبعض الحيات وهو أكثرها خبثاً وأسرعها فتكاً باللديغ، وتجمع أساود. ويقال أسود سالخ أي انه يترك جلده. ويقال للموت أسود للدلالة على شدته وبشاعته. قال زيد الخيل الطائي:

إذا شك أطرافُ العوالي لبانه
أقدمه حتى يرى الموتَ أسـ ـودا(50)

وقيل "الموت الأسود" كناية عن الموت خنقاً والأحمر كناية عن الموت غيلةً أو في القتال. وقيل كنايةً عن الموت: الشراب الأسود، وقد ضرب طرفة ذلك مثلاً لسوء الحال بينه وبين صاحبته إذ قال:

ألا إنني أشْربتُ أسود حالكاً
الابجاـي من الشراب الابجـ ـل(51)

قال الشنتمري في شرحه: يعني كأس المنية، وهذا مثل ضربه لفساد ما بينه وبينها(52). وقد يكنّون عن الدم بكلمة الأسود وهذا غريب منهم، قال خفاف بن ندبة:

فجادت له يمنى يدي بطعنة
كستْ متنه من أسود اللون حالكاً(53)

قال الشارح: أراد بأسود اللون الدم. وضمنت كلمة الأسود تراكيب يفهم منها التجهيز والإعداد للقتال، كقولهم: لبس فلان لباس الأساود تعبيراً عن تجرده للقتال واستعداده للحرب، وقد يضمون إلى ذلك لباس النمر يريدون جلده. قال قيس بن الخطيم:

ونحن إذا ما الخيل أدرك ركضها
لبسنا لها جلد الأساود والنمـ ـر(54)

فإذا دارت رحى الحرب، وحمي الوطيس، قالوا: اسودت بيض المسائح. وهي أول ما يشيب من الرجل في جانبي الرأس. فهذا دليل على أن الوقعة شديدة وآثارها تفوق الوصف، قالت الخنساء:

أخو الحزم في الهيجاء والعزم في التي
لوقعتها تسود بيض المسايـ ـح(55)

والسواد بالعربية هو الغلس، أي ظلمة آخر الليل، قال المثلم بن رياح المري وهو شاعر جاهلي:

بكر العواذل بالسواد يلمنَني
جهلاً يقلْن أما ترى ما تصنـ ـع(56)

ومن أقوالهم: الأسودان كناية عن التمر والماء. والماء يوصف بالسواد تارة وبالزرقة تارة أخرى وبالخضرة والبياض. قال عبيد بن الأبيض:

كلون الماء أسود ذو قشور
نسجن تلاحـ ـم السـ ـرد الدلاص(57)

ولعلهم كانوا يصفونه بالزرقة عندما يكون صافياً وبالخضرة عندما يكون مطحلباً يتخلله العرمض، وبالبياض حين يخلو مما سبق. ولا تفسير لوصفه بالسواد إلا إذا قصد بذلك شدة اختلاطه بالعرمض أو تأثره بالإناء أو تكدره. وعرق الناقة أو البعير غير الجاف كنوا عنه بالأسود والسواد. قال جران العود:

وكان الهجان الأرحبي كأنّه
براكبـ ـه جون من الليـ ـل أكلف(58)

والأكلف هو الذي يجمع بين البياض (هجان) والسواد (جون). ومن غرائب الصدف أن الإنجليزية تستعمل شيئاً شبيهاً بما عرف في العربية من كنايات تعتمد السواد أداة تعبير. فيقال بالإنجليزية black death وقد عنوا به الطاعون، وارتبط السواد لدى مستعملي اللغة الإنجليزية بإيحاءات مما عرف بالعربية فقولهم black guard قول يعنون به اللئيم والشرير. ومن هذا القبيل اطلاقهم على الشخص التافه عبارة black sheep خروف أسود.

وفي العربية مرادفات للأسود أو صفات استخدمت في التعبير عنها ألفاظ أخرى مثل أسمر وأسفع. فالأسمر سواد اقل حلكة من السواد الذي تدل عليه الكلمة المرتبطة باللون الأساسي. وقد كنوا بالأسمر والسمر عن الرماح والتروس. وسبب ذلك أنهم كانوا يتخذون الترس من جلود البقر بعد صبغها باللون الأسود، قال عمرو ذو الكلب:

واسمر مجنأ من جلد ثورٍ
أصـ ـم مفللاً ظبـ ـة النبـ ـ ـال(59)

أي انه يفلّل السيوف ويكسر النصال عندما تقع عليه، وتصطدم به لمتانته وصلابته. وكنّوا بالسمر عن الرماح. قال أبو سعيد السكري في روايته عن الأصمعي: إذا تركت القناة في غابتها حتى تنضج ثم ثقّفت خرجت صلبة سمراء، وإذا أخذت قبل أن تنضج خرجت بيضاء ضعيفة، قال جران العود:

بزرق في مثقّفةٍ حرارٍ
تقوم فـ ـي قنا الخط ـ ـي سمـ ـر(60)

وقد أصبحت هذه الصفة من الشيوع في كلامهم بحيث أغنت عن ذكر الموصوف. يقول الشماخ بن ضرار الذبياني:

وإن فترتْ بعد الهبابِ ذكرتها
بأسمر شخْت ذابـ ـل الصـ ـدرِ مدرجِ

فالأسمر هنا كناية عن سوط والقرينة الدالة على هذا المعنى قول "شخت" "ذابل الصدر مدرج" فهو مرن يرتد عن الناقة بعد ضربها به. والأسمر أيضاً كناية عن الحافر، قال الشماخ:

إذا سافَ منها موضع الردف ريفت

بأسمــر لأمٍ لا أرح، ولا وجــي(61)

والسمر كذلك كناية عن رسوغ الناقة التي تطأ بها الحصى. قال الشماخ أيضاً:

فأضحتْ بصحراء البسيطة عاصفاً
تولّي الحصى سمر العجايات مجمراً(62)

ويقال أسفع الوجه، ومسفع الخدين كناية عن سوء الحال من فقر وجوع وخلافه. قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه):

أمــا ترينــي مره العينين
مسفــع الوجنــة والخدين(63)

والأصل أن يقال سفعته الشمس وسفعته النار إذا لفحته وغيرت لونه إلى سواد. وقد عبروا بهذا اللون عن التغير من السعة إلى الضيق، ومن الفرح وهدوء البال إلى الغم والحزن. وقال عمرو بن شأس الأسدي يصف قانصاً له أولاد يعانون الحاجة والجوع والفاقة:

له ولْدةٌ سفْع الوجوه، كأنهم
إذا اقتربوا منــه جراء مقَرقسِ(64)

وأسفع الخدين كناية عن الثور الوحشي إذا كان جانبا وجهه ضاربين على سواد في حمرة. وحيثما ذكر هذا التعبير فهو كناية عن الثور الوحشي. وسفع الخدود كناية عن الأثافي، وهي حجارة ثلاثة كانت توضع تحت القدور فتغدو سوداء اللون من كثرة الدخان. قال أبو ذؤيب:

فلم يبقَ منها سوى هامد
وسفْع الخدود معــاً والنــؤي(65)

والسبد من مرادفات الأسود لكنها لا تستعمل إلا في الشعر خاصة. فإذا نبت لفرخ القطاريش أسود يقال سبد أي اسود بعد أن زال عنه الزغب. وغدا السبد اسماً لسواد الشعر خاصة. يقال في المثل: "ما له سبد ولا ولد" أي: ليس له إبل ولا شاء، قال كعب بن زهير:

حمر حواصلها كالمغْد قد كُسيتْ
فوق الحواجبِ مما سبدتْ شعفاً(66)

الأحمر:

الأحمر في العربية معروف وله صفات مثل قانئ أي شديد الحمرة لا يشوبه لون آخر ويقال ورد وأشقر وكميت إذا خالطه سواد وأصهب إذا كان بين الحمرة والبياض. وفي العربية يقال طعنة حمراء، والطعنة ليست حمراء على وجه الحقيقة وإنما هي صفة غلبت على الطعنة لارتباطها بما تتركه من أثر وهو مسيل الدم بغزارة، أي انها طعنة نافذة يتبعها نزيف شديد، قال كعب بن مالك الأنصاري:

طعنّا طعنةً حمراء فيهم
حرام رأيهــا حتــى الممــات(67)

وللدلالة على شدة القتال يقال احمرت الحدق أي العيون. والحدقة في الأصل السواد المستدير وسط محجر العين ومحال أن يحمر، ولكنهم يقولون ذلك تعبيراً عن أن القتال بلغ أقصاه وتجاوز الغضب بالمقاتلين المدى المألوف، قال زيد الخيل:

هلاّ سألت بني نبهان عن نسبي
عند الطعان إذا ما احمرت الحدق(68)

وفي هذا المعنى يقول كعب بن زهير:

الناظرين بأعين محمرة
كالجمرِ غير كليلــة الابصــارِ(69)

أي انهم يتميزون غيظاً، ويشتهون اللقاء في القتال، بدليل قوله: غير كليلة الابصار، وهو نوع من التحرز والاحتراس. وفي الإنجليزية يقال عين حمراء ومحمرة redeye ولكن معنى هذا التعبير بالإنجليزية مختلف جداً عنه في العربية إذ يطلقونه على نوع رخيص من الويسكي، أما حمرة العين بسبب الغضب فأطلقوا عليها to see red.

ويقال للأرض الحرة وهي التي تضرب إلى سواد أو فيها حجارة سود إذا اشتد القتال، وحمي الوطيس، احمرت اللابة أو الحرة كناية عن شدة القتال وكثرة الجرحى والصرعى ومسيل الدماء بغزارة، قال حسان بن ثابت:

ترى اللابة السوداء يحمر لونها
ويغبر منهــا كلّ ربــع وفدفــد(70)

قال الشارح: يحمر لونها من كثرة الدماء. ويقال للقوم إن كانوا كثيري الغزو وشمس العداوة: حمر القسي. قال الشنفرى الأزدي:

وباضعة، حمر القسي، بعثتها
ومن يغز يغنــم مرة ويشمــت(71)

وبالعربية إذا وصف الناس بحمرة البشرة فذلك يعني أنهم من أصل غير عربي، قال حسان يصف ساقياً في حان:

يسعى بها أحمر ذو برنسٍ
مختلق الذفرى شديــد الحــزام(72)

فالساقي أراد به هنا غلاماً من الأعاجم وليس من أصل عربي. والعرب تسمي غير العربي أحمر والجمع حمران ويقال: حميراء. قال حسان يهجو سعيد بن أبي السرح حين ارتد عن الإسلام:

أعبد هجين أحمر اللون فاقع
موثّر عليــاء القفــا، قطَطٌ، جعــد

فقولــه أحمر اللون كناية عن الهجنة، وتأكيد لكونه ابن أمة(73). ويقولون للسماء احمرت إذا كانت مجدبة. وسنة

حمراء وشهباء إذا كانت قليلة المطر. قال الأعشى ميمون بن قيس:

إذا احمر آفاق السماء، وأعصفتْ
رياح الشتاء واستهلّتْ شهورهـا(74)

وتوصف رياح الشمال بالحمرة، ولتعليل ذلك أمران. الأول: أن السحاب الذي تسوقه ضارب للحمرة، والثاني: أن فيها برداً شديداً قارساً يسقط معه الصقيع. قال طرفة بن العبد:

إنا إذا ما الغيم أمسى كأنـه
سماحيقُ ثربٍ وهي حمراء حرجف(75)

واستخدم بالإنجليزية تعبير red snow يعنون به الثلج الأحمر (بعلبكي: 767)، وهو ثلج ملوث بعناصر الغبار التي يحملها الهواء. وهو دون شك تعبير مختلف، بيد أن الشيء المشترك بين التعبيرين هو الجمع الغريب بين البرودة الشديدة والحمرة. ويقال في العربية حمر الحواصل كناية عن الضعف والحاجة إلى الاعتماد على من يطعم هذا الضعيف. قال الحطيئة:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ
حمر الحواصل لا مـاء ولا شجر(76)

وقال أيضاً:

لزغْبٍ كأولاد القطا راثَ خلْفَها
على عاجزات النّهض حمرٍ حواصلُه (77)

ويقال: أهل "القباب الحمر" كناية عن الزعامة والمنعة والسيادة. قال الأعشى:

أهـلُ القبــاب الحمــر
والنّعـم المؤبل والقنابــلْ(78)

قال الشارح: القباب الحمر كناية عن الزعامة والسيادة. وقيل "مضر الحمراء" لأن راياتها كانت في الحرب حمراً(79). وقيل: بل لأن نزار بن مضر وهبها قبةً من أدم – جلد أحمر– فسميت لذلك مضر الحمراء، قال بشر بن أبي خازم:

دعوا منبت السيفين، إنهما لنا،
إذا مضر الحمراء شبت حروبها(80)

واحمر عاد كناية عن الرجل المشؤوم بسبب فعل أقدم عليه لا تقره عليه القبيلة. وهم يقصدون بذلك أحمر ثمود الذي عقر الناقة. وقد شبه به مقتل كليب وائل لكثرة ما جر قاتله على قومه من ضحايا وحروب؛ قال أبو خراش الهذلي:

فمن كان يرجو الصلح منهم فإنـه
كأحمر عاد أو كليب لوائـل(81)

وقال زهير بن أبي سلمى:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم
كأحمر عاد ثم ترضـع فتفطــم(82)

وحمر المناقل مثل حمر القسي وحمر القباب دليل المنعة والقوة. قال علقمة الفحل:

فإن أبا قابوس بيني وبينها
بأرعن ينفــي الطير حمر مناقلُــه(83)

يريد بذلك أن أعداءه وخصومه لا يستطيعون الارتقاء إليه والوصول إلى موقعه إلا بإراقة الكثير من الدماء.

الأزرق:

ارتبط اللون الأزرق عند العرب ببعض الأفكار الغريبة عن الأشياء التي يرونها من حولهم. فالذباب الأزرق مثلاً يمثل في عرفهم رمز الإيذاء لما يلحق هذا النوع من الذباب من أثر في الإبل والخيل؛ فقد تحدث الجاحظ عن ذلك الداء الفاتك الذي يصيبهما من جراء ذبابة زرقاء. وورد في الشعر العربي ما يشير إلى أن الذباب الأزرق كثير الفتك. قال الممزق العبدي:

كأن نضيح البول من قِبَل حاذها
ملاب عروسٍ أو مـلاذع أزرق(84)

وذكر المتلمس الضبعي الذباب الأزرق مستدعياً المعنى ذاته، قال:

وذاك أوان العرض حي ذبابه
زنابيـره، والأزرقُ المتلمــس(85)

وقد سموا الصقر – وهو أحد الجوارح – أزرق كأنما للدلالة على صفته هذه. قال الأعشى ميمون بن قيس:

كأن الغلام نحا للصـوار
أزرق ذا مخلبٍ قــد دجــن(86)

وكنّوا بالأزرق عن النصال المجلوة والسهام المشحوذة، مسمومة كانت أو من غير سم، قال الشماخ:

بزرق النواحي مشرفات كأنهـا
توقدها في الصبح نيران عرفَـج(87)

وإلى مثل هذا يشير أبان بن عبدة:

وزرق كستْها ريشَهـا مضرحيــة
أثيث خوافي ريشهـا وقوادمــه(88)

والزرقة في الرمح كناية عن حدة السنان وصفائه ولمعانه، قال حسان بن ثابت:

مكللة بالمشرفي، وبالقنا
بها كل أظمى ذي غرارين أزرق(89)

وقال خفاف بن ندبة يصف رمحه ويذكر حدة السنان:

وأزرق في رأس خطيــة

إذا اهتز أكْعبها تخْطر(90)

فقد عنى بالزرقة هنا الرمح. وتميم بن مقبل يكني هو الآخر عن رمحه بالأزرق:

وكم من كمي قد شككْنا قميصه
بأزرقَ عسالٍ، إذا ُهز عاملُه(91)

والزرق السهام المسنونة الصافية وكذلك السنان. وهم يستخدمون الصفة يكنون بها عن الموصوف(92). ويتكرر ارتباط الزرقة بما يتأذى منه، فعيون الكلاب التي يصطحبها القانص وتطارد الثور الوحشي غالباً زرق، قال زهير يصف كلاباً تطارد ثوراً:

زرق العيون، طواها حسن صنعته
مجوعات كما تطْوي بها الخرقا(93)

والزرقة في العيون مما يكني به العرب عن اللؤم ووضاعة النسب، بل ربما رموا من يتصف بزرقة العينين بالعجمة أو الأحقاد والأضغان، قال معقل بن ضرار المنبوز بالشماخ:

وما كنت أخشى أن تكون وفاته
بكفي سبنْتى أزرق العينِ مطْرِق(94)

وهو يشير في البيت إلى قاتل الخليفة الفاروق. فهجاه بزرقة العين والانتساب إلى أصل أعجمي. وقد يكنون عن الأعاجم بالزرق، قال الأعشى الكبير يذكر النبيط ويعني بهم قوماً أعاجم:

ويروي النبيطَ الزرقَ من حجراته
دياراً تروي بالأتي المعمد(95)

فإلى جانب الكناية عن الأعاجم بالحمر والحمران وبالصفر كنوا عنهم بالزرق. والعرب يتعوذون من زرقة العينين، ويعدونها مثلبة وينفون عن نسائهم أن تتصف بهذه الصفة، قال أحد شعراء الحماسة:

ومرا على أهل الغضا، إن بالغضى
رقارِق، لا زرقَ العيونِ، ولا رمدا(96)

فهو يثني على نساء قومه ويمدحهن برقة البشرة، وخلوهن من واحدة تتصف بزرقة العينين. ويقال ازرقت عيناه دليلاً على الاحتضار والموت. ذكر شارح ديوان الهذليين أنهم كانوا يعتقدون أن الحيوان إذا قارب الموت تزرق عيناه. قال قيس بن عيزارة:

في كلّ معتَرك تغادر خلْفَها
زرقاء، دامية اليدينِ، تميد(97)

فقد أراد كلبة ترنحت وازرقت عيناها للموت.

وفي الإنجليزية ثمة توافق بين اللونين الأزرق وبعض الإيحاءات المرتبطة بالشر والأذى؛ فكلمة blue beard معناها القاتل لزوجاته واحدة تلو الأخرى. وblue bottle ذبابة ضخمة زرقاء البطن. وإذا كانت الزرقة في العربية تعبيراً عن الأصل الوضيع فإنها في الإنجليزية تعبر عن النبالة، والحسب الرفيع والنسب الباذخ، فهم يطلقون عبارة blue blood "دم أزرق" ودمه أزرق على من كان أرستقراطي المولد.

الأخضر:

والأخضر في العربية من الأضداد، يقال للشيء الأسود أخضر وللأخضر يقال أسود. وبعض اللغويين ينفي أن يكون الأخضر من الأضداد وإنما يرون أن شدة الخضرة تحيل إلى سواد، كذلك قالوا في تفسير قوله تعالى: "مدهامتان" (الرحمن، الآية 64): خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الري(98). والخضرة في العربية انحازت عن المعنى المعجمي إلى الدلالة على معان أخرى عن طريق الكناية والمجاز. فقيل: عيشٌ أخضر تعبيراً عن السعة في الرزق(99)، ومخضر الجناب كناية عن رغد العيش، قال الأعشى الكبير:

ولقد أراه بغبطة
في العيش مخضراً جنابه(100)

ويقال مخضر المناكب أو خضر المناكب تعبيراً عن المعنى ذاته، قال حسان بن ثابت:

يصونون أجساداً قديماً نعيمها
بخالصة الأردانِ خضرِ المناكبِ(101)

ويقال كتيبة خضراء للدلالة على كثرة السلاح. قال الحارث بن حلزة اليشكري:

ثم حجراً - أعنى ابن أم قطام-
وله فارسيةٌ خَضراء(102)

أراد كتيبة ذات سلاح كثير. ويقال للدلالة على الكثرة: خضراء القوم مثل سوادهم. وذهب دمه خضراً أي: هدراً لم يؤخذ بثأره. واخضر الليل إذا اسود، واختضر فتياً أي مات شاباً. وقال امرؤ القيس:

فأوردها من آخرِ الليل مشْرباً
بلائقَ خضراً ماؤهن قليص(103)

أراد صفاء الماء بقوله: خضراً.

ويقال لكل صغير حديث الولادة أخضر النّواجذ، أي انه لم يصل بعد حد الاعتماد على نفسه في طعامه، قال النابغة الجعدي:

غرزها أخضر النواجذ نسافُ
نحورِ الفصال بالقدمِ(104)

ويكنى عن البحر بالأخضر لكثرة عطائه. قال حسان بن ثابت:

وهل يستوي ماءان أخضر زاخر
وحسي ظنون ماؤه غير فاضـل(105)

ومنه قالوا للرجل إذا كان كثير الكرم، جم العطاء، متلاف الأيدي، بين الجود: خضرم. قال حسان:

وندمان صدق تمطر الخير كفّـه
إذا راح فياض العشيرة خضرما(106)

وقال أيضاً:

إذا مات منّا سيد سـاد مثلُـه
رحيب الذراعِ بالسيـادةِ خضرم(107)

والخضارمة هم العرب أو من كانوا من أصل عربي خلافاً للحمر، أو الزرق، أو الصفر، أو السود. قال الفضل بن العباس:

وأنـا الأخضـر مـن يعرفنـي
أخضر الجلـدة من بيت العـرب

أما حسان فقال يمتدح بني خاف بخضرة البشرة:

أو في السرارة من تيمٍ رضيتُ بهم
أو من بني خاف الخضرِ الجلاعيد(108)

قال الشارح أراد بالخضرة أنهم عرب خاص.

ويجوز أنه شبههم بالبحور لما يرى فيها من الخضرة. وارتبطت الخضرة من حيث هي لون ولفظ بالتفاؤل خلافاً للسواد. وقد عرفوا نوعاً من الطيور الصغيرة تسمى القواري. وصفة هذه الطيور أن بطونها صفر وظهورها خضر. وكانوا إذا رأوها أقبلت إلى ديارهم استبشروا بالمطر، فكأنها رسل غيث، ومقدم سحاب. وقد شبه زيد الخيل الطائي أفراسه بها لشدة السرعة ولزومها بشائر النصر، قال:

إذا وقعتْ في يوم هيجا تتابعتْ
خروج القواري الخضرِ من خَلَل السيل(109)

وقد تعزز هذا المعنى في الإسلام فوصفت الجنة التي يوعد بها المؤمنون بالخضرة. وقيل لكتيبة النبي يوم الفتح: الكتيبة الخضراء. وضربت له قبة خضراء اللون. وقال أبو بكر الصديق في يوم بدر:

فأورد قتلى المؤمنين جنانه
وألبسهم من سندس الملْك أخْضرا(110)

وهي إشارة إلى قوله تعالى: "يلبسون من سندس واستبرق(111)" وقوله: "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون(112)". وترادف السواد والخضرة في العربية معروف. وقد أشرنا إلى شيء من ذلك عند الحديث عن اللون الأسود. فهم مثلما نوهنا يسمون الأخضر أسود، والأسود أخضر، قال الشماخ:

وراحت رواحاً من زرود فنازعت
زيالة جلباباً من اللّيـل أخضـرا(113)

ومن الغريب أن في الإنجليزية تعبيراً يشبه التعبير القديم في العربية وهو "أخضر النواجذ" الدال على قلة الخبرة فهم يقولون" green horn لعديم الخبرة، الغر، الذي يحتاج إلى غيره في تصريف أموره (بعلبكي: 400) وطائر القواري الذي سبق ذكره، بطنه أصفر وريشه أخضر اسمه بالإنجليزية green finch وقياساً على الزرقة في العربية التي ارتبطت باللؤم قالوا بالإنجليزية green eyed يعنون به العين الحسود، أو الإنسان الحسود.

الأصفر:

الأصفر هو أحد الألوان الأساسية التي كنّى بها العرب عن أشياء عديدة مما رأوه حولهم وعرفوه واختبروه في حياتهم اليومية المستمرة. فهو كناية عن الذهب تارة وعن النحاس تارة أخرى. قال الحارث بن حلزة اليشكري:

والسبيـك الصفر يعقُبهـا
بالآنسـات البيض واللعـس(114)

والصفراء في الشعر كناية عن القوس لا يذكرون الموصوف وإنما يذكرون الصفة حسب. قال زهير بن أبي سلمى:

عرشٌ كحاشية الإزارِ، شريجةٌ
صفراء، لا سدر ولا هي تألـب(115)

ويقال اصفر وجهه للدلالة على الخوف والجبن. قال كعب بن مالك:

تخال جديـة الابطـال فيهـا
غـداة الزحف جاديـاً مدوفـاً

قال الشارح: المعنى تحسب وجوههم صفراء بلون الجادي وهو الزعفران من شدة الخوف(116). ويقال اصفرت أنامله كناية عن الموت. قال زهير:

فيبدؤه بضربـه أو يشكـه
بنافذة تصفر منهـا الأنامـلُ(117)

وقالت الخنساء في المعنى نفسه:

ويترك القرن مصفراً أناملـه
كأن في ريطتيه نَضح إرقـان(118)

قال الشارح: مصفراً أنامله كناية عن الموت. وقال الطوسي في شرح ديوان لبيد: إذا مات الرجل أو قتل اصفرت أنامله، والمراد بالأنامل هنا الأظفار لأنها بزعمهم لا تصفر إلا بالموت، قال لبيد:

وكلّ أناسٍ سوف تدخل بينهـم
دويهية تصفر منها الأنامـلُ(119)

ولم تعرف العربية الكثير من الكنايات التي ترتبط باللون الأصفر في لغة العصر. فلم أجد من يستعمل ضحكة صفراء أو ابتسامة صفراء للدلالة على المكر والخديعة كما في اللغة المعاصرة. وفي الإنجليزية يكنون عن الذهب بكلمة yellow metal وفي أحيان أخرى يكنون بالتعبير نفسه عن النحاس.

ملحقات الألوان:

إلى جانب الألوان الأساسية المذكورة ثمة ألوان أخرى أطلقت عليها ألفاظ وأسماء تميزها عن اللون الأساسي كالأصهب الذي يقرب من الحمرة، والجون الذي ألحق بالأسود تارة وبالبياض تارة أخرى. والأدكن وهو قريب من الأسود. والأعفر: الترابي، والأغبر الذي هو مزيج من السواد والبياض، والبلق والأغر وهما إلى البياض أقرب من غيرهما والأكلف الذي هو مزيج من السواد والبياض والأملح وهو الأبيض نسبة إلى لون الملح والناصع وهي صفة للون الخالص الذي يقتصر على الأساسي ولا تشوبه درجة من ألوان أخرى، والورد وهو من مرادفات الأحمر ومثله الأشقر، والأشهب والأشمط وهما إلى بياض، والأبقع وهو اجتماع لونين في الشيء الواحد كالسواد والبياض في الثور أو الفرس أو الغراب على ندرة شديدة، والأورق وهو في مثل لون رماد الرمث.

وقد استعملت ألفاظ هذه الألوان في تعابير مجازية وكنائية عدة مثلما استعملت أسماء الألوان الأساسية. فقد كنّوا عن السحابة التي تضرب إلى الحمرة بالصهباء، قال لبيد بن ربيعة:

فلها هباب في الزمام كأنها
صهباء راح مع الجنوب جهامها(120)

فأقام الصفة مقام الموصوف. ويقولون الموت الصهابي كأنهم عنوا به الموت الأحمر الذي هو كناية عن الشدة، قال النابغة الجعدي:

فجئنا إلى الموت الصهابي بعد ما
تجرد عريـان من الشـر أحدب(121)

وتكني العرب عن الأعاجم بالصهب، قال عبيد بن الأبرص:

جوانبها تغشى المتالف، أشرفتْ
عليهن صهب من يهود جنـوح(122)

ويكنى عنهم أيضاً بصهب السبال. والسبال هو مقدم الذقن (اللحية) والأصل في هذه الكناية أن الأعاجم يتصفون بحمرة شعر الذقن، فوصفهم العرب أول الأمر بصهب السبال. ثم تطور هذا الوصف واتسعت دلالته ليشمل الأعداء عموماً، قال زيد الخيل الطائي:

وأسلم عرسه لمـا التقينـا
وأيقن أننـا صهب السبـال(123)

يريد: أننا أعداء.

ويقال صهب العراقيب كناية عن الطعن في عروبة من يوصفون بهذا. والعرب تقول عن الأعاجم "صهب السبال" مثلما قدمنا "وصهب العراقيب". قال حسان بن ثابت يهجو بني عوف، ويشكك في عروبة أصلهم ونقاء نسبهم:

إلى جذمِ قينٍ لئيم العروق
عرقـوب والـده أصهـب(124)

وهذه مثل قولهم حمراء العجان للمرأة(125).

وتبدل اللون من الجون (الأبيض) إلى نقيضه الأسود تعبير عن هول الحدث. قال تميم بن مقبل:

فبتنا نعيد المشرفيـةَ فيهـم
ونبدئ حتى أصبح الجون أسودا(126)

وقولهم "جون المراكل" كناية عن كثرة القتال في الحرب. وتفسير ذلك أن الفرسان يهمزون الخيل بأعقابهم فيتطاير الشعر ويظهر الجلد الأسود في موضع الركل فيقال جون المراكل، أي ان الخيول كثيرة الاستخدام في الحرب. والأدكن كناية عن زق الخمرة، يذكرون صفته ويقيمونها مقام الموصوف. قال لبيد:

أغلي السباء بكلّ أدكن عاتق
أو جونة قدحتْ وفُض ختامهـا(127)

ويكني الحادرة بالأدكن عن زق الخمرة(128):

فسمي ويحك هلْ علمت بفتْية
باكرت لذّتهم بأدكـن متـرع(129)

ويقال للرجل إذا بات ليلته في شدة يتقلب كأنه على قرن أعفر(130)، قال امرؤ القيس:

ولا مثل يوم في قذاران ظلْته
كأني وأصحابي على قرنِ أعفَرا(131)

وبالأغبر والغبراء يكنى عن القبر أو الحفرة التي يدفن فيها الميت، قال عبدة بن الطبيب:

ولقد علمتُ بأن قصري حفْرةٌ
غبراء يحملنـي إليهـا شرجـع(132)

وقال مكتفياً بذكر الصفة دون الموصوف:

وتركتُ في غبراء يكره وِردها
تسفي علـي الريـح حين أودع(133)

ويقال شتوة غبراء أي شديدة لا يعقبها خير لأن البرد فيها قارس يؤدي إلى المحل والجدب. قال حريث بن زيد الخيل وهو شاعر مخضرم:

ألا بكّر الناعي بأوسِ بنِ خالد
أخي الشتْوة الغبراء والزمنِ المحل(134)

وقد يكنى بالألوان عن الحالة النفسية للإنسان مثلما مر بنا عن البياض والحمرة وبالغبرة يكنى عن كسوف البال، قال الأعشى الكبير:

حواسر عن خدود عاينتْ عبراً
ولاحها، وعلاها غبرة، كُسفُ(135)

أراد أنهن لما حسرن عن خدودهن التي جرت فوقها الدموع غاض بياضها وإشراقها الرقراق وحلت عوضاً عنه غبرة من آثار الأسى والحزن. وأما قولهم غبر السواعد فكناية عن الإخفاق في تحقيق الغاية وإصابة المرمى. قال أبو ذؤيب الهذلي:

قضوا ما قضوا من رمها، ثم أقبلوا
إلي بطاء المشي غبر السواعدِ(136)

أراد أنهم لم يظفروا من ترميم البئر بطائل لما كان فيها من قلة الماء.

ومن كناياتهم قولهم: عفّر وجهه تعبيراً عن الإذلال. قال عمرو بن كلثوم:

فكم عفّرن من وجه كريمٍ
غداة لقينهم والنّقْع كابِ(137)

وفلان عفير الوجه أي مذل ومهان(138).

والأكلف – وهو لون بين السواد والحمرة – كنوا به عن وعاء الخمر لاختلاط بياضه بسواده مع الطين الذي كانوا يلوثونه به لحفظ الخمرة مدة طويلة من الزمن. وهذا اللفظ يشبه من حيث المعنى: الأدكن. قال الجعدي:

ردتْ إلى أكلف المناكبِ مر
سومٍ مقيمٍ في الطينِ محتدم(139)

وكلاف الوجوه مثل سفع الوجوه كناية عن الفقر وسوء الحال، قال الجعدي:

ترى المعشر الكُلفَ الوجوه إذا انتدوا
لهم نائب كالبحرِ لم يتصرمِ(140)

والأعصم الغراب الذي فيه بياض وهو كالأبلق. إلا أنهما غريبان ونادران ندرة شديدة. ولذلك استخدمت كلمة الأعصم للكناية عن كل شيء غريب، فريد، مختلف عن سائر الجنس. فقالوا من هذا الباب: خطبة عصماء أي فريدة بين الخطب فرادة الغراب الأعصم بين الغربان، وقصيدة عصماء للسبب نفسه. ونسبوا إلى اللجين – وهو الفضة الذائبة – لونا فقالوا لجيني، أو مثل اللجين، أرادوا به شدة البياض واللمعان: وقالوا دري يعنون به الأبيض كالدرة، واملح نسبة إلى الملح. وقد خلطوا بين الأزرق والأملح. قال أبو سعيد السكري: هو الأزرق الذي يضرب إلى بياض. والملحاء كتيبة كانت لآل جفنة. قال عمرو بن شأس:

يفلّقن رأس الكوكبِ الفخْمِ بعد ما
تدور رحى الملحاء في الأمر ذي البزل(141)

ويقولون: نصع الرجل إذا أظهر ما في سريرته، وكشف عما يضمره من البغضاء والعداوة. قال أبو زيد الطائي:

فالدار تنبيهم عني، فإن لهم
ودي، ونصري، إذا أعداؤهم نصعوا(142)

ونصعوا بمعنى ظهروا وكشفوا عن عداوتهم الشديدة. وفيه قالوا: الحق ناصع، أي: بين واضح لا لبس فيه. قال النابغة الذبياني:

أتاك بقول هلهل النسج كاذب
ولم يأت بالحق الذي هو ناصع(143)

والورد من ألوان الخيل والسباع والأنثى منه وردة. وكنوا به عن الدم، قال أبو ذؤيب الهذلي:

غادرها وهي تكبو تحت كلكله
يكسو النمور بورد خلفه الزبد(144)

وكنّوا بالأشقر – وهو من ألوان الخيل خاصة – عن الصبح، لأنه يبدو في أول شأنه أحمر ثم يبيض، قال سحيم عبد بني الحسحاس:

وحتى استبان الفجر أشقر ساطعاً
كأن على أعلاه سباً يمانيا(145)

وشبه حميد بن ثور الصبح بلونه الأحمر بالحصان الأشقر. ويقال "ورق المراكل" مثل قولهم جون المراكل. قال زهير بن أبي سلمى:

إذا ما سمعنا صارخاً معجتْ بنا
إلى صوته ورقُ المراكل ضمر(146)

والشّمط بياض الشيب. ويقال للحرب شمطاء إذا طال عهدهم بها ومرت عليها سنون كثيرة. وللرجل يقال أشمط كناية عن ورعه وتقواه وبياض عرضه ونقاء سريرته. قال حسان بن ثابت في رثاء الخليفة الراشدي عثمان بن عفان:

ضحوا بأشمطَ عنوان السجود به
يقطّع الليل تسبيحاً وقرآناً(147)

والأشهب: الأبيض. قالوا في الكناية: ليلة شهباء أي شديدة ذات ريح باردة. قال النابغة الذبياني:

باتت له ليلةٌ شهباء تسفعه
بحاصبٍ ذات اشْعانٍ وأمطار(148)

والسنة الشهباء هي الصعبة التي لا نبت فيها ولا مطر. قال الحطيئة:

إذا أجحفتْ بالناس شهباء صعبةٌ
لها حرجفٌ ممـا يقلّ بـه القتْر(149)

أي انها سنة قليلة الأمطار، شحيحة النبات، كثيرة القر والبرد، فيها رياح شديدة تخلو من رائحة اللحم إذا شوي، كناية عن الجوع. وحيثما وردت عبارة ليلة شهباء فهي تعني الشدة، والبرد، والصقيع، مع قلة المطر(150). والريح الشهباء التي فيها ثلج وبرد. قال عمرو بن أحمر:

في يوم ظل واشياه وصافية
شهباء ثلـج وقطـر وقعـه درر(151)

ويقال أيضاً: كتيبة شهباء أي كثيرة الحديد والسلاح. ويكنون بالشهباء عن القوس. قال تميم بن مقبل:

شهباء تنبو النبلُ عنْها كأنّها
صفا زلّ عن أركانهـا المتزحلفُ(152)

وهذه الأخيرة من أغرب ما قرأنا لأنهم كانوا يكنّون عن القوس بالصفراء، وهو أحد الألوان في هذا النوع من السلاح.

خاتمـــة

صفوة القول أن العربية عرفت ستة من الألوان الأساسية هي: الأبيض والأسود والأحمر والأزرق والأخضر والأصفر، إلى جانب عدد غير محدد من الأسماء التي تتعلق بهاتيك الألوان، منها ما هو وصف لها أو لدرجة من اللون أو لمزيج من الألوان أو للإبانة عن شبه بين الشيء ولون شيء آخر. وإلى جانب المعاني المعجمية الأساسية التي ارتبطت بهذه الألوان ظهرت معانٍ أخرى استعملت ألفاظ الألوان للدلالة عليها والإشارة إليها من باب الانزياح أو الكناية أو العدول عن الحقيقة للمجاز، وهو أسلوب في التعبير عرفته العربية من أقدم عصورها، وتشهد على ذلك الشواهد الكثيرة التي جمعناها من الشعر الجاهلي والإسلامي، واكتفينا بذكر أمثلة منها، كقولهم: الموت الأحمر للدلالة على الشدة، والليلة الشهباء للدلالة على البرد والصقيع، والسنة الشهباء للدلالة على القحط، والموت الأسود للدلالة على الضيق، واصفرار الأنامل للدلالة على الموت، والذباب الأزرق للدلالة على الأذى، وسواد الوجه للدلالة على اللؤم أو الكسوف ونحو ذلك الكلف والبلق والغبرة والكدرة. وفلان أسود القلب للدلالة على الأضغان، والبياض للدلالة على النقاء من العيوب، واحمرار الحدق للدلالة على الغضب. والعربية في هذا كغيرها من اللغات استخدمت هذا النوع من الكناية بواسطة ألفاظ الألوان لما تعبر عنه من الخبرة الحسية التي تخرج المجرد من المعاني مخرج الشيء المحسوس.

الهوامـش

(1) ديوان أبي بكر الصديق، ص 71.
(2) المساوي، رمزية الألوان في الشعر العربي، مجلة عمان، ع 108، مج 8.
(3) عمر، اللغة واللون، ص 69-82. وانظر بعلبكي، المورد، ط16، ص 400.
(4) مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ص 197 – 201.
(5) صدر في الرباط، ولم نستطع الاطلاع عليه.
(6) شعر، القاهرة، ع 5.
(7) ألقى البحث في مؤتمر اللغة العربية في القاهرة عام 1986، ونشر في كتاب: معجم الألوان في اللغة والعلم والأدب، تصنيف زين الخويسكي، ونشر أيضاً في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، مج 11، ع 33، ص 9-44.
(8) المنتدى، ع 58، مج 5، ص 40-42.
(9) الفيصل، ع 222، مج 19، ص 111-113.
(10) السابق، ع 225، مج 19، ص111-113.
(11) العقيق، ع 6/5، مج 3، ص 115-128.
(12) عمر، المرجع السابق في الحاشية ذات الرقم (3).
(13) حققت الكتاب المذكور وجيهة السطل، وصدر بدمشق 1976.
(14) عمر، السابق، ص 69، يضاف إلى ما سبق ما كتبه أحمد زكي عن الألوان في كتابه: في سبيل موسوعة علمية، وهو موضوع علمي لا صلة له بموضوعنا في البحث.وانظر بعلبكي، ص 108.
(15) الثعالبي (430هـ)، فقه اللغة، ص 56.
(16) النمري، الملمع، ص 7.
(17) الأنباري (327هـ)، كتاب الأضداد، ص 111.
(18) الأصمعي (210هـ)، الأصمعيات، ص 232.
(19) القرشي (310هـ)، جمهرة أشعار العرب، 436/1.
(20) الذبياني، ديوان النابغة الذبياني (604م)، ص33.
(21) القرشي، السابق، 633/1.
(22) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص 363.
(23) السابق نفسه، ص 418.
(24) السابق نفسه.
(25) زهير بن أبي سلمى، شعره، ص 56.
(26) الضبي (176هـ)، المفضليات، ص 111.
(27) القرشي، جمهرة أشعار العرب، 651/2.
(28) ديوان الهذليين، ق 1، ص 195.

(29) أبو تمام الطائي (237هـ)، ديوان الحماسة، ص 215.

(30) عنترة، ديوانه، ص 60.

(31) ابن النحاس، أبو جعفر (338هـ)، شرح القصائد المشهورات، ص 65.

(32) لبيد بن ربيعة: شرح ديوان لبيد، ص 223-224.

(33) الأعشى، ديوانه، ص 342. ونتدي أي نتسلم الديات عن القتلى.

(34) الخنساء، ديوان الخنساء، ص 54.

(35) ديوان عنترة، ص 155، وشعر الشعراء الستة، 148/2.

(36) سحيم عبد بني الحسحاس، ديوانه، ص 26.

(37) شرح ديوان حسان، ص 348.

(38) السابق، ص 151.

(39) عبيد بن الأبرص، ديوانه، ص 128.

(40) ديوان النابغة الذبياني، ص 43.

(41) ديوان الأعشى الكبير، ص 237.

(42) السابق نفسه، ص 112.

(43) قيس بن الخطيم، ديوانه، ص 164.

(44) النابغة الجعدي، ديوانه، ص 186.

(45) الأصمعيات، ص 45.

(46) جران العود النميري، ديوانه، ص23.

(47) شرح ديوان حسان، ص 362.

(48) ديوان الأعشى الكبير، ص 175.

(49) خفاف بن نُدبة: شعر خفاف، ص 80.

(50) ديوان زيد الخيل الطائي، ص 44.

(51) طرفة بن العبد، ديوانه، ص 160. وبجلي: حسبي.

(52) أشعار الشعراء الستة، 84/2.

(53) شعر خفاف بن ندبة، ص 66.

(54) ديوان قيس بن الخطيم، ص 183، وانظر ديوان أوس بن حجر، ص 124.

(55) ديوان الخنساء، ص 30.

(56) ديوان الحماسة، ص 543.

(57) ديوان عبيد بن الأبرص، ص78.

(58) ديوان جران العود، ص15.

(59) ديوان الهذليين، 116/3.

(60) ديوان جران العود، ص 50.

(61) الشماخ بن ضرار الذبياني، ديوان الشماخ، ص 36.

(62) السابق نفسه، ص 38.

(63) السابق نفسه، ص 51، وانظر كعب بن زهير، ديوانه، ص34، حيث قوله:

سمر العجايات يتركن الحصى زيما
لـم يقهن رؤوس الأكـم تنعيـل

(64) أبو بكر الصديق، ديوانه، ص 38.

(65) عمرو بن شأس الأسدي، ديوانه، ص 31. وقرقس للكلاب دعاه بقوله قرقس مكرورة، وتقال للجدي أيضاً. انظر القاموس المحيط: "القرقوس".

(66) ديوان الهذليين، 66/1، والنؤي كالأثافي حجارة سود توضع تحت القدور.

(67) ديوان كعب بن زهير، ص 77، والمغد ثمرة تشبه الباذنجان.

(68) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص 31.

(69) ديوان كعب، ص 44.

(70) شرح ديوان حسان بن ثابت، ص 176. واللابة: الحرة.

(71) المفضليات، ص 110.

(72) شرح ديوان حسان، ص 434.

(73) السابق، ص 202.

(74) ديوان الأعشى، ص 169.

(75) ديوان طرفة بن العبد، ص 98، وأشعار الشعراء الستة، 102/2. والثرب: شحم الشاة فيه طرائق حمر شبه السماء به لقلة المطر وهبوب ريح الشمال. والسماحيق هي البقايا والنتف.

(76) الحطيئة، ديوانه، ص 101. وانظر ديوان كعب بن زهير، ص 77، 86.

(77) نفسه، ص 156.

(78) ديوان الأعشى، ص 248.

(79) القاموس المحيط، مادة (الأحمر).

(80) المفضليات 333. وانظر القاموس المحيط، مادة (أدمة).

(81) ديوان الهذليين، 124/2.

(82) شعر زهير بن أبي سلمى، ص 19.

(83) علقمة الفحل، ديوانه، ص 57.

(84) الأصمعيات، ص 165.

(85) ديوان الحماسة، ص186.

(86) ديوان الأعشى، ص 364.

(87) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، ص 39.

(88) ديوان الحماسة، ص 178.

(89) شرح ديوان حسان بن ثابت، ص 342. وغرارا السنان حداه.

(90) شعر خفاف بن ندبة، ص 55.

(91) ديوان تميم بن مقبل، ص99.

(92) ينظر: أشعار الشعراء الستة، 49/1 و131/2. وجمهرة أشعار العرب، 829/2.

(93) شعر زهير بن أبي سلمى، ص 70.

(94) ديوان الحماسة، ص 313.

(95) ديوان الأعشى، ص 134.

(96) ديوان الحماسة، ص 425.

(97) ديوان الهذليين، 75/3.

(98) كتاب الأضداد، ص 348.

(99) فقه اللغة للثعالبي، ص56.

(100) ديوان الأعشى، ص64.

(101) شرح ديوان حسان بن ثابت، ص 359.
(102) شرح القصائد المشهورات، 84/2. وانظر ديوان الأعشى، ص 185، 262.
(103) شرح ديوان امرئ القيس، ص 184.
(104) ديوان النابغة الجعدي، ص 160، أراد حوار الناقة.
(105) شرح ديوان حسان بن ثابت، ص 367، والحسي: حفرة أو ركية صغيرة ضحلة قليلة الماء.
(106) السابق نفسه، ص 423.
(107) نفسه، ص 440.
(108) نفسه، ص 187، 188.
(109) ديوان زيد الخيل الطائي، ص 90.
(110) ديوان أبي بكر الصديق، ص 68.
(111) الدخان، ص53.
(112) آل عمران، ص169.
(113) ديوان الشماخ، ص 51.
(114) ديوان الحارث بن حلزة، ص 55.
(115) شعر زهير بن أبي سلمى، ص 210.
(116) ديوان كعب بن مالك، ص 68.
(117) شعر زهير، ص 266.
(118) ديوان الخنساء، ص 112.
(119) شرح ديوان لبيد، ص 256-257.
(120) جمهرة أشعار العرب، 358/1.
(121) ديوان النابغة الجعدي، ص 31.
(122) ديوان عبيد بن الأبرص، ص 31.
(123) ديوان زيد الخيل، ص86.
(124) شرح ديوان حسان بن ثابت، ص 116.
(125) السابق، ص 124.
(126) ديوان تميم بن مقبل، ص 23.
(127) جمهرة أشعار العرب، 371/1.
(128) ديوان شعر الحادرة، ص56.
(129) المفضليات، ص 46. وللبيت رواية أخرى:

فسمي ما يدريك أن رب فتية
بـادرت لذتهـم بأدكن مترع

(130) الأعفر لون الظبي يخالط بياضه حمرة.
(131) شعر الشعراء الستة، 70/1.
(132) شعر عبدة بن الطبيب، ص 50.
(133) نفسه، وانظر ديوان حاتم الطائي، ص 118.
(134) ديوان الحماسة، ص 237.
(135) ديوان الأعشى الكبير، ص221.
(136) ديوان الهذليين، 123/1.
(137) ديوان عمرو بن كلثوم، ص 102.
(138) ديوان الخرنق بنت بدر، ص 49.
(139) ديوان النابغة الجعدي، ص 159.
(140) السابق نفسه، ص168.
(141) ديوان عمرو بن شأس الأسدي، ص 95.
(142) ديوان أبي زبيد الطائي، ص 108.
(143) ديوان النابغة الذبياني، ص55.
(144) ديوان الهذليين، 128/1.
(145) ديوان سحيم، ص 28.
(146) شعر زهير بن أبي سلمى، ص 160.
(147) شرح ديوان حسان، ص 463.
(148) ديوان النابغة الذبياني، ص 22، وله رواية أخرى في جمهرة أشعار العرب، 311/1.
(149) ديوان الحطيئة، ص 95، وانظر شعر زهير، ص 41.
(150) ديوان حاتم الطائي، ص 43، وديوان الخنساء، ص 84.
(151) جمهرة أشعار العرب، 844/1.
(152) ديوان تميم بن مقبل، ص 78.

المصادر والمراجـع

الأبرص، عبيد بن الأبرص، 554م، ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار، 1957، مصطفى البابي الحلبي، مصر, ط1.

الأسدي, عمرو بن شأس، 637 م، ديوان شعر عمرو بن شأس, جمعه وحققه يحيى الجبوري (د.ت.) مطبعة الاداب, النجف, ط1.

الأصمعي, عبد الملك بن قريب، 216هـ، الأصمعيات, تحقيق عبد السلام هارون واحمد شاكر, دار المعارف, مصر, ط6.

الأعشى, ميمون بن قيس، 630، ديوان الأعشى الكبير, تحقيق حنا نصر الحتي، 1993، دار الكتاب العربي, بيروت, ط2.

امرؤ القيس، 550م, شرح ديوان امرئ القيس لأبي جعفر بن النحاس, تحقيق عمر الفجاوي، 2002، وزارة الثقافة, عمان, ط1.

الأودي, الأفوه الأودي، 570م، ديوان الأفوه الأودي حققه وشرحه محمد التونجي، 1998، دار صادر, بيروت, ط1.

الإيادي، لقيط بن يعمر، ديوان لقيط بن يعمر، تحقيق عبد المعيد خان، 1971، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة, بيروت.

ابن جني, أبو الفتح عثمان بن جني، 392هـ، المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة, تحقيق مروان عطية وشيخ راشد، 1988، دار الهجرة، بيروت, ط3.

ابن حجر، أوس، 610 م، ديوان أوس بن حجر, تحقيق محمد يوسف نجم، 1979، دار صادر، بيروت, ط3.

ابن الطبيب, عبدة، 641 م، شعر عبدة بن الطبيب، صنعة يحيى

الجبوري، 1971، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع, بغداد.

ابن طفيل، عامر، 632 م، ديوان عامر بن الطفيل، تحقيق هدى جنهويتشي، 1997، دار البشير ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

ابن العبد، طرفة، 569 م، ديوان طرفة بن العبد، تحقيق فوزي عطوي، 1969، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ط1.

ابن علس، المسيب، 575 م، شعر المسيب بن علس، جمعه وحققه أنور أبو سويلم، 1994، جامعة مؤته، ط1.

ابن مالك، كعب، 50هـ، ديوان كعب بن مالك الأنصاري، حققه وشرحه مجيد طراد، 1997، دار صادر، بيروت، ط1.

ابن مقبل، تميم بن مقبل، 70هـ، تحقيق A.I. Turek، 1967، منشورات جامعة أتاتورك، كلية الآداب، أنقرة.

ابن النحاس، أبو جعفر، 338هـ، شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات, جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1, 1985.

ابوصفية، جاسر، 1988، ألوان الخيل وشياتها عند العرب، مجلة المنتدى، دبي، ع 58، مج 5, ايار 1988.

بدر, الخرنق بنت بدر، 600 م، ديوان الخرنق بنت بدر، حققه واضح الصمد، 1995، دار صادر, بيروت, ط1.

البطليوسي, ابوبكر، شرح الأشعار الستة الجاهلية, تحقيق ناصيف عواد، 2000، دار الشؤون الثقافية, بغداد.

بعلبكي، منير، 1982، قاموس المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ط16.

تولب, النمر بن تولب، شعر النمر بن تولب، صنعة نوري حمودي القيسي، 1988، مطبعة المعارف, بغداد,ط1.

ثابت, حسان بن ثابت الأنصاري 670م، شرح ديوان حسان بن ثابت للبرقوقي، 1981, دار الكتاب العربي, بيروت, ط1.

جبري, شفيق، 1967، لغة الألوان, مقالة في مجلة مجمع اللغة العربية, دمشق, ع نيسان (ابريل)، ص 197-201.

الجعدي, النابغة، 64هـ، ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه واضح الصمد، 1968، دار صادر, بيروت, ط1.

الحادرة، 620 م، ديوان شعر الحادرة, تحقيق ناصر الدين الأسد، 1980, دار صادر بيروت, ط2.

الحسحاس, سحيم عبد بني الحسحاس، 660م، ديوان سحيم، تحقيق عبد العزيز الميمني، 1965، دار الشؤون الثقافية, بغداد, ط2.

الحطيئة, جرول بن عبس، 650 م، ديوان الحطيئة, شرح يوسف عيد، 1992، دار الجيل, بيروت, ط1.

حلزة, الحارث بن حلزة اليشكري، 570 م، ديوان الحارث بن حلزة, شرح مجيد طراد، 1998، دار الجيل.

خازم، بشر بن أبي خازم، 600 م، ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق عزت حسن، 1972، وزارة الثقافة، دمشق، ط2.

الخطيم، قيس بن الخطيم، 620 م، ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، 1967، دار صادر، بيروت، ط2.

خليفة، عبد الكريم، 1987، الألوان في المعاجم العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، مج 11, ع 33, تموز – كانون الأول 1987.

الخنساء، تماضر بنت عمرو، 647 م، ديوان الخنساء، شرح حمدو حماس، 2003، دار المعرفة، بيروت، ط1.

الخويسكي، زين، 1992، معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، مكتبة لبنان، بيروت، ط1.

الدمرداش، أحمد سعيد، 1975، الحركة التوافقية البسيطة من الألوان إلى الشعر، مجلة شعر، القاهرة، ع5، يناير، كانون الثاني.

الذبياني، الشماخ بن ضرار، 656 م، ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني, شرح قدري مايو، 1994، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1.

الذبياني، زياد بن معاوية، 612 م، ديوان النابغة الذبياني، شرحه وحققه عباس عبد الساتر، 1984، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

ربيعة, لبيد بن ربيعة، 42هـ، شرح ديوان لبيد بن ربيعة, تحقيق إحسان عباس، 1962، وزارة الإرشاد، الكويت، ط1.

الزبيدي، عمرو بن معد يكرب، 60هـ، ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي, جمعه مطاع الطرابيشي، 1985، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط3.

زكي، أحمد (د.ت.)، الألوان، فصل في كتابه نحو موسوعة علمية، دار الشروق، بيروت.

زهير، قيس بن زهير، 580م، شعر قيس بن زهير، جمعه عادل جاسم البياتي، 1972، مطبعة الآداب، النجف.

زهير، كعب بن زهير، 60هـ، ديوان كعب بن زهير بشرح أبي سعيد السكري، تحقيق حنا نصر حتى، 1994، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1.

زين، أحمد، وآخرون، 1950، ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، صورة عن طبعة دار الكتب.

سلمى، زهير بن أبي سلمى، 609 م، شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة فخر الدين قباوة، 1980، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3.

السلمي، خفاف بن ندبة، 642 م، شعر خفاف بن ندبة السلمي، جمعه وحققه نوري حمودي القيسي، 1967، مطبعة المعارف، بغداد.

السموأل، 550م، ديوان السموأل، تحقيق واضح الصمد، 1996، دار الجيل، بيروت، ط1.

الشنتمري، الأعلم، 476 م، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، لجنة من المحققين، 1981، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2, جزءان.

الشنفرى، ثابت بن أوس الأزدي، 550 م، لامية العرب، تحقيق

بديع شريف، 1968، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1.

الصديق، أبو بكر الصديق، 13هـ، ديوان أبي بكر الصديق، حققه وشرحه راجي الأسمر، 1997، دار صادر، بيروت، ط1.

الصلت، أمية بن أبي الصلت، 631 م، ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق سجيع الجبيلي، 1998، دار صادر، بيروت، ط1.

الضبعي، المتلمس، 569 م، ديوان المتلمس الضبعي، حققه محمد التونجي، 1998، دار صادر، بيروت،ط1.

الضبي، المفضل الضبي، 176م، المفضليات، تحقيق عبد السلام هارون واحمد شاكر (د.ت.) دار المعارف، مصر، ط5.

الطائي، أبو زبيد، 61هـ، شعر أبي زبيد الطائي، جمعه وحققه نوري حمودي القيسي، 1967، مطبعة المعارف، بغداد.

الطائي، حاتم 641 م، ديوان حاتم الطائي، تحقيق كرم البستاني، 1982، دار المسيرة، بيروت، ط2.

الطائي، زيد الخيل، 634 م، ديوان زيد الخيل الطائي، صنعه وحققه نوري القيسي (د.ت.)، مطبعة النعمان، النجف.

العدواني، ذو الإصبع، 621 م، ديوان ذي الإصبع العدواني، جمعه وحققه عبد الوهاب العدواني وآخرون، 1973، وزارة الإعلام، الموصل.

علقمة، الفحل بن عبدة، 570 م، ديوان علقمة الفحل، تحقيق السيد أحمد صقر، 1935، المطبعة المحمودية، القاهرة.

عمر، أحمد مختار (د.ت.)، اللغة، عالم الكتب، القاهرة, ط1.

عنترة، 570م، شرح ديوان عنترة، شرح وتحقيق عبد المنعم شلبي وابراهيم الابياري، 1980، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

الغنوي، طفيل، 580 م، ديوان طفيل الغنوي، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، 1968، دار الكتاب الجديد (د.م.)، ط1.

القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، 310هـ، جمهرة أشعار العرب (جزءان)، تحقيق محمد علي الهاشمي، 1986، دار القلم, دمشق، ط2.

كلثوم، عمرو بن كلثوم، 602 م، ديوان عمرو بن كلثوم، شرح مجيد طراد، 1998، دار الجيل، بيروت، ط1.

مرداس، العباس بن مرداس، 18هـ، ديوان العباس بن مرداس، جمعه وحققه يحيى الجبوري، 1968، وزارة الثقافة، بغداد.

النميري, جران العود، ديوان جران العود النميري برواية أبي سعيد السكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1, 1931.

الهلالي، حميد بن ثور 60هـ، صنعة عبد العزيز الميمني، 1951، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.

Le Petit, Robert, 1987, Paris.

Colours' Words and their Semantic in Pre-Islamic and Islamic Poetry

Ibrahim M. Khalil *

ABSTRACT

This study aims at dealing with names of colours in ancient Arabic, especially in Pre-Islamic poetry as well as Islamic poetry. Also, it aims at observing the metaphorical and mytonymical meanings which we can find in the context of colour use. In English we can hear many examples of such metaphorical uses; such as, black market, black idea, blue day, black moon, green old age, green hand… and so on.

This kind of study is very few in Arabic, because Arab authors are always interested in the lexical meaning only. So, I think, this research gives us the newest conclusion in Arabic Semantics.

KEYWORDS: Condition, Semantic, Context, Metonymy, Colour, Metaphor, Vocabulary, Lexical Deviation.

---

* Faculty of Arts , University of Jordan. Received on 5/10/2004 and Accepted for Publication on 7/3/2005.